

لُغَةُ الْعَرَبِ

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ إِدْبِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ

(الجزء ٤ من المجلد ٦) عن نيسان سنة ١٩٢٨ *

بي پروا (١)

Bi-Perwa.

في كتب مشاهير الرجال ونوابغهم ، لا نرى أثرا لمن فيه من أصعاب المهن والصنائع والفنون ؛ ولا نقرأ شيئا من أولئك الرجال الذين كان لهم منزلة عظيمة في طبقتي الأمة الوسطى والدنيا ، كما لا نجد وصف البيئة لتلك الأيام في أكلها وشربها ، وأنسها ، وسكنها ، وفرحها ، وحزنها ، إلى ما ضاعى هذه الحالات . على أننا إذا قلنا : لم نر ، ولم نجد ، ولم نقرأ ، فليس معناه التعميم والأطراد الذي لا شاذ فيه ، فقد وجدنا في أيام العباسيين رجالا تصدوا لمثل هذه الأبحاث ، لكنهم يعدون على الأصابع ، بالنسبة إلى ما دون في سائر المواضع والمعاني . فلقد كتب لنا أبو الفرج الأصفهاني ، والجاحظ ، والقاضي السعدي ، أمورا يستعملونها عليها أرقى الأمم في عهدنا هذا .

ونحن الآن في عصر تولي فيها العادات والأخلاق والبيئة العربية وتدير أديارا لا عودة لها إليها ومع ذلك ليس من يفكر في هذا الانتقال فيلتم ما يراه اليوم ليكون سندا يعتمد عليه الجيل القادم في ما كان في هذا العهد .

ولقد انتبه إلى هذا الشأن الخطير حضرة المفكر الاجتماعي أحمد حامد أفندي

(١) في يروا علم رجل درویش منقول من كلمتين فارسیتين منها : بلا (بی) خوف

(یروا) أو بلا تكلیف ومنها أيضا الشجاع والحر في أعماله أو كما يقول الفرنسيون :

Un homme sans gêne, sans façon.

آل الصراف . فاخذ بطرف القراء بما يلاحظه في هذا الموضوع والفضلاء يطالعون هذه المباحث بشوق عظيم ، ان في ديارنا الشرقية وان في الديار الغربية ويستريضة منها .

واليوم يهني الى هذه المجلة موضوعا من الذ المواضيع وهو ترجمة احمد « الدراويش » الذين كان يرى مثلهم في بغداد قبل نحو خمسين سنة مئات ومئات يجولون في الطرق والاسواق ليستمعفوا الناس عليهم ويستندوا حسناهم . وفي الوقت عينه يعرفنا بحالة ابناء المجتمع في البلاد التي مر بها المترجم وعقليتهم ونفسياتهم وسلطة بعض طبقات الناس على بعضها الآخر . ولهذا تعد هذه الترجمة من افخر ما كتب في هذا المعنى ، ومما يجب ان يحتذى عليه ، اذ هي المثال الاعلى في هذا الموضوع . قال حفظه الله :

(لغة العرب)

رجعت في الليلة العاشرة من شهر تشرين الثاني ١٩١٩ الى بيتي الواقع في حارة « باب بغداد » في كربلاء ، وهي حارة ضيقة لا زقمة ، يبرها بصبص من ضياء الفوانيس القديمة المعلقة على جدران البيوت ، وكانت الليلة ظلماء حالكة الاديم . خلت سماؤها من قمر مضي ، وكوكب لامع ؛ فركنت الى غرفتي وكنت تعباً ضجراً ، مهموماً افكر في اللعب الثقيل الذي بقي على عاتقي وهو لعب المدرسة الاميرية اذ كنت مديرها . وكان المعلمون السبعة الذين عينوا لها من الاعاجم ؛ فكان فيها الشاهرودي والطهراني والشيرازي والرشدي .

وكان في كربلاء ثلاث مدارس فارسية تراحم مدرستي وتسمى الى القضاء عليها . وكنت ارى بعيني ابناء العرب الاقحاح من العلويين والهاشميين يؤمون المدارس الاعجمية هناك ، حيث يترسون التاريخ الفارسي والآداب الفارسية ويمتقون بذكر طهمورث وحشيد وكسرى . وقد تغيرت سجاياهم العربية وبكل احساسهم وتطورت عواثدهم والفوا الفارسية بدلا من العربية .

وكان حاكم كربلاء اذ ذاك رجلا فارسيا عينته السلطة الانكليزية اثناء الاحتلال ، وكان داهية ، شديد النعرة الفارسية كثير الرغبة في انهاض المدارس الايرانية ؛ قليل الاهتمام بالمدرسة التي كنت مديرها . الافتراءات كان يجهل بها الاهلين ، وكانت كربلاء اذ ذاك على شفا جرف هار ، اذ كانت تنقلب بلد تقارسية .

وكانت هذه الحوادث المؤلمة تثير اعصابي وتزيد في آلامي وكنت في تلك الليلة الـ ١٠ من تشرين الثاني ١٩١٩ - أفكر في الطرق التي اتقذ بها المدرسة العربية من تلك المخالب .

فقضيت ساعتين تارة أفكر وطورا أقرأ ما تيسر لي من الكتب حتى دقت الساعة الرابعة عريضة ليلا ، فصاد الصمت وانقطعت اصوات النائحين والباكين في التعازي والآثام . واذا صوت رخيم رفيق أشبه برنين الجرس قد انبعث من طبقات ذلك الليل الهادئ منشدا :

يا شام غريبان يا إمام رضا (١)

وكانت تلك النغمة التي لم تكن إلا نغمة النأي الحزين قد اهاجت بلابلي واثارت كوامن شجوي ، فانتفضت انتفاضة المتكهرب ورفعت باب الكوة المطل على الطريق ، وملت بكل جوارحي الى الجانب الذي جاء منه ذلك الصوت الرخيم وبعد بضع ثوان سمعت تشيدا بنغمة فارسية : « دوست علي مولا جانم » ثم انطلق يتغنى بأشعار فارسية لم استطع ضبطها فعلمت من النغمة ومن هذه الكلمات انه « درويش فارسي » . فقلت : بابا درويش بفرما اي تفضل ايها الدرويش - فجاء يمشي الهوينا حتى وقف تحت « الفانوس » فتبينته ثم رميت له قرانا (نقدا فارسيا يساوي نصف فرنك ذهب) لم يعثر عليهما إلا بشق النفس . وقلت له :

اي مرشد بخوان - اي أقرأ ايها المرشد . فقال جشم .

فقرأ بنغمة الافشار (٢) قصيدتين ابداع قصائد الشاعر الشهير سدي الشيرازي وقد ضبطت - وانا في غرفتي - بيتين منها :

شرف مرد بچود است	وكرامت بسجود
هر كه اين هردو ناداد	عشمش به وجود
اي كه در نعمت و نازي	بجهان عرا مشو
كه مجالست در اين	مرخله إمكان خلود

معناها : شرف المرء بعبودته وكرامته بسجود الله ومن لم يملك هذين

(١) اي يا ايها الامام رضا معشى الثراء ومضيفهم .

(٢) الافشار مقام فارسي والبغداديون يسمونه اوشار .

للأمرين كان علمه أحسن من وجوده يا أيها المتعمم المذمم لا تقتر بهذه الدنيا إذ من المحال الخلود في هذه المرحلة (الحياة).

ولما أنتم انشاد القصيدة ، رميت له قرأنا آخر وقلت له :

شعر عربي أوزير داريد ؟ يك قصيدة عربي بخوانف — اي : أنتظهر شعرا عربيا . اكل قصيدة عربية . اجابني قائلا : ييرشي (١)

ثم قال لي قربان أوزير دارم اي نعم عزيزي اني استظهر ذلك فانطلق يتشد كالقشارة النائعة قصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول ، حتى جاء على آخرها .

وقد احلثني ثورة من ثورات المفرم حين يهزه الوجد فقلت له : شام نيمخواهي آيا كرمته نيسي (اي لا تريد ان تتعشى) ؟ الست جوعان ؟ فسكت فعلمت انه جوعان فصرخت على الخادمة وقلت لها ان تفتح الباب ففتحته له فصعد الي ودخل متأدبا وحياني قائلا : سلام عليكم .

عليكم السلام بفرما آغااي مرشد فجي . له بالطعام ، فأكل بتؤدة ثم غسل يديه ، وشكر الله ، ودخن دخينة (سكاراة) قدمتها اليه وكان ينظر إلي اثناء تدخينه اياها نظرة الخائف الوجل . وابتدري سائلا : جناب عالي مأمور دولتي ؟ اي : أجنابكم موظف حكومة ؟ قلت له نعم . ثم طلبت اليه ان ينشدني شيئا من الشعر العربي والفارسي . واخذت البراعة والقرطاس لادون ما ينشدني فترنم بالابيات الفارسية الآتية وقد ضبطتها من فمه :

آنه ياركم بني وفا است دشمن به ازوست

وآن نقره كم بهاست آهمن به ازوست

هر كس كه نمك خورد نمكدان شكند

د د مذهب رندان جهان مك به از وست

اي : العدو احسن من حبيب أو صديق لا وفاء له . والحديد احسن من فضة لا قيمة لها . ومن اكل الملح وكسر الملح فالكلب اشرف منه بمقتضى مذهب العقلاء الحكماء في الحياة .

(١) اي لكن شيخا بمعنى ليطل عمره وهو اصطلاح فارسي .

يشير الى انه اكل من نعمتي وهي نكتة اريب واستشهاد اريب ثم
انشدني قصائد لحافظ الشيرازي وخاقاني ومنوچهري وغيرهم من شعراء الفرس .
ثم قرأ لييتين بلكنة اعجمية وهما :

انبتت صبايتكم	فرحة على كبدي
بت من تفجئكم	كالاسير في الصفد
اي : انبتت صبايتكم	فرحة على كبدي
بت من تفجئكم	كالاسير في الصفد

ثم انقطع عن التشيد فسألتها عن اسمعوعن اسم بلدا . فقال اسمي ابو القاسم
والقبلي « بي يروا » ويليلي « شيراز » . فقلت له : متى صرت درویشا ؟ وماذا
فضلت هذه الحياة ؟ وماذا كانت مهنتك وعملك قبل ان تكون درویشا ؟ فلم
يجبني بشيء فالحمت عليه كثيرا . وكررت عليه السؤال . فقال لي « عشق است »
اي - العشق - (١) إلا انني لم اقع بهذا الجواب وكررت عليه السؤال وطلبت
اليه بالحاح ان يجيبني فقام على قدميه وقال متأجبا : آغا خيلي دير كردم ان شاء الله
وقت ديكر خواهم گفت اي سيدي اني تأخرت وسأحدثك ان شاء الله في وقت
آخر فدعوتها الي ان يأتيني في الليلة الثانية فودعني وانصرف . وانصرفت عني
كل همومي وكانت الساعة الخامسة تماما .

ابو القاسم بي يروا

كان الترويش بي يروا شيئا قد اجتاز الكهولة ، ربعة ، اشقر اللون ،
ازرق العينين ، ذا وجه مستدير احدث فيه الآلام عضونا ، واورثت فيه تجعدا .
ذا لحية طويلة صفراء وخطها المشيب ، ذا شعر طويل ك شعر النساء لهذه البياض .
اما ثيابه فلم تكن اسمالا اخلاقا ، وكانت نظيفة وهي عبارة عن قلنسوة طويلة
(كلاله) من اللبد الأصفر ، مشدود في وسطها حزمة من خيوط ومقسية طويلة
قد اختلطت بشعره ، عليه قميص من الصوف فوقه جلد معز طويل وجراب طويل
وقدوم ثمينة مزخرفة بنقوش وآيات فارسية وعلى ظهره كشكول .

تلك ملامحه وحركاته على انه لم يكن من اولئك السفلة الشعاذين . ثم بدا

(١) ليس معنى العشق هنا الغرام بل الميل وهو من اصطلاح الدراويش .

لي ان ادون بعد هذا اليوم ، ما يقع لي من امر هذا الدرويش وما يتعلق به فكشبت يومئذ في مذكرتي ما اعيد صورته الى القارى .

طلعت شمس اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩١٩ فذهبت الى المدرسة وقمت بواجباتي وخرجت منها من الساعة الحادية عشرة غروبية وذهبت نوا الى بيتي فانتظرت الدرويش الى الساعة الخامسة عرية فلم يأتني ثم ينست من مجيئه ولما اعياني السهر نمت .

١١ تشرين الثاني

خرجت من بيتي عند انبلاج الفجر وتجولت في الحضرة الحسينية والعباسية (١) لعل اجد الدرويش فلم اراه ثم ذهبت الى الحكمة وهو مأوى اكثر الدراويش الفقراء فلم اصادفه . فذهبت الى المدرسة وارسلت خادما للمدرسة (حمزة) ليقبض عنه فجاءني بعد بضع ساعات وقد طاف في المدينة فلم يلاقه .

صرفت التلاميذ في الوقت المعين وخرجت الى الحضرة الحسينية حين طفول الشمس ولما دخلت الصحن من باب القبلة رن في مساعي صوت الدرويش فاسرعت اليه فوجدته قد رفع قدميه على كتفه ووضع كشكوله على ممر الصحن ووقف حاسر الرأس مشددا شعرا في مدح الحسين الشهيد (عليه السلام) وقد اجتمع حوله الناس على شكل دائرة رجالا ونساء وشبابا وهم بين ياك ومتباك وقد ملأوا كشكوله من كل ما شاؤوا .

ووقفت امام الدرويش (بي بروا) ولما وقع بصره على امتقع لونه وتلجلج فخرقت الصف ورعيت له رية واحدة في كشكوله ولما اتم نشيده دعا للحاضرين بالخير والبركة وطول العمر على عادة الدراويش ثم قرأ الفاتحة ورفع كشكوله من الارض وانصرف موليا وجهه شطر السوق من غير ان يلتفت الي فتقصصت اثره ثم تمرضت له في الموق وسلمت عليه قائلا بلهجة المعاتب : اي مرشد بكجا تشريف ميريد ؟ الى اين تذهبون ايها المرشد ؟ فوقف الدرويش وقفة المتحير في امره فعلمت في تلك اللحظة القصيرة انه ارتاب مني

(١) الحضرة الحسينية هي صحن جامع مرقد الحسين والعباسية هي جامع مرقد العباس ابن علي بن ابي طالب (ع) .

ومن شكلي ولباسي وطربوشي وظن انني موظف امرت بالبحث عنه فمستكنه
بيدي وعرفته باني مدير مدرسة من خدمة العلم والادب، ويولد لي معاشرته الدراويش
وصحبة الفقراء وان صوته الرخيم وحفظه الشعر الكثير حياء الي واقسمت له
واغلظت له الايمان مؤكدا له صدق ما اقول . فاطمان وهذا دوعه فاخذته زاسا
الى بيتي .

ليلة ١٢ تشرين الثاني

ولما اختلط الظلام قام وتوضأ وصلى صلاة المغرب ثم تعشينا معا وبعد ان
دخن عدة دخينات (سيكرات) اندفع يقني شعرا فارسيا دون ان اكلفه وكان
غناؤه اوقع في قلبي من نعمات الارغن ونقرات العود ولم اشأ ان اسأله في تلك
الليلة عن سبب تفضيله هذه الحياة على حياة العمل لئلا يرتاب مني مرة اخرى
فينقطع وانا حريص عليه جد الحرص . ولما مضى هزيع من الليل ودعني وانصرف
بعد ان نفخته رية اخرى ورجوته ان يزورني تطفلا .

ليلة ١٣ تشرين الثاني

جاءني الدرويش في هذه الليلة وقد اكثر من تلاوة الشعر بنغمته الفارسية
الرفيعة .

لم يزورني الدرويش في ليلة ١٤ و ١٥ و ١٦ من شهر تشرين الثاني .

١٧ تشرين الثاني

زارني الدرويش بي بروا في مدرستي، ففرحت به ورحبت به كثيرا وعاتبته
طويلا على انقطاعه عني ثلاث ليال سويا فاعتذر مني وقال انه لم يبرح « الخيمكة »
ثلاثة ايام اذ انتابته الحمى خلالها فتناحنا طويلا في الشعر ونقلت في مذكري
بضع مقطوعات شعرية ثم ودعني وانصرف وودعني بان يزورني في تلك الليلة .

ليلة ١٨ تشرين الثاني

جاءني الدرويش وكان فرحا مبتهجا فاخبرني بانه تشرف بزيارة قبر المجاهد
الشهيد الحرين حرب الرياحي واجلا ثم جلس معطنا وقال انه مر كثيرا بزيارته
كربلاء، وانه جلد بمعاشرتي . وبعد العشاء طفق يقني شعرا غراميا للشاعر حافظ
الشبراوي . ولما اتم انشاده سألتني عن سبب تفضيله شعر حافظ على شعر غيره .

فصكت قليلا ثم أن انة الغريب الكشيب . وقال احب حافظا لانه نبت في وطني ونشأ فيه . ولأن شعرة يذكرني ببلدتي شيراز الجميلة فقلت له : اتحبها وتمن اليها ؟ فقال ان كنت تسألني لكوني درویشا فاقول اني لا افضل مدينة على أخرى وكل بلاد الله وطني . وكل أهل الارض اقاربى لا افرق بين العربي والعجمي والهندي والتركي . ألا اني مع ذلك ، احن الى شيراز ، لانها ملعب صباي ، ومراح شبابي وفيها قبور امي وابي وزوجتي وعشيرتي ثم قال وقد تفرق الدمع في جفنيه :

حه را ببل آشیانه خود را دوست میداد و انسان وطن خود را دوست نمیداد .

اي : لماذا يحب الببل عشه ولا يحب الانسان وطنه .

فقلت له : ومتى فارقت مدينة شيراز ؟ فقال وقد اتحدت دمة من مائة على خداه : لم اطأها منذ اربعين سنة على التقريب .

لماذا ؟ وما السبب ؟ فقال بعد ان تنهد طويلا : انك قد سألتني قبل بضعة ايام فلم اشأ ان اقص عليك حديثي ، خشية منك ، لاني ارنيت كثيرا في امرك وخفت ان يصيبي في « كرملاه » ما قد اصابني في « يروت » وذلك اني وطئت يروت اثناء الحرب فذقت فيها عذاب الهون وعانيت الوانا من المصائب والرزايا وكان اطفالها يركضون خلفي ويحصبوني ويمطرون علي وابل الحجارة .

آغا شهر يروت يرأز فونك بود . اي ومدينة يروت ملائ من الفونك (١) وقد تعرفت بفتى من اهل يروت اخذني الى بيته واطعمني وسألني عن سباحاتي فقلت له اني جئت من الهند على طريق ايران وفي اليوم الثاني قبض علي شرطي طويل القامة وقادني الى دار الحكومة ثم زوجني بالسجن ثم طلبوني واتهموني بالتجسس ، بلي آغا جسان مارا كوتك زدند خيلي جوب زدند فرياد كردم قسم خوردم كه من درویشم غريم كوش ندادند زدند وزدند تجعل كردم خدا را شكر كردم .

نعم ياميدى فقد ضربوني وجلوني بالسياط صرخت كثيرا وحلفت لهم بانتي درویش غريب فلم يصفوا الي ثم ضربوني وضربوني فتحملت وشكرت الله .

(١) والفونك في عرف السجم كل من يضع على رأسه القبة الافرنجية .

ثم اطلقوني وقد مرضت واشرفت على الهلاك وكنت اقضي ايامي في احد المساجد ثم تعرفت بصاحب « قهوة » وكان مسلما من الاخيار الطيبين فكنت اغني نهارا في قهوته ، وانفتح بالنأي ، فكان يطعمني .
ولما عاد الي نشاطي وصحتي تركت بيروت وما فيها من ظلم وعسف وجور ، واتيته الى الشام ثم سافرت الى بغداد ومنها الى طهران .

بلي قربان ! خيلي اذيت كشيدة ام — لقد عانيت الاذى ، ولهذا السبب خشيت ان اقص عليك حديثي ، وانقطعت عنك وقد سألت عنك فعرفت انك من الاخيار والان اقص عليك حديثي واكلمك عن السبب الذي دفعني الى ان اكون دروشا :

حياة ابو القاسم بي روا

وكانت الساعة الثالثة من الليل ، فجيء باكواب الشاي فشرب الدرويش ثلاثة اكواب ، ومسك قلمه بيده ووضعها بجانب الكشكول ، واخرج من جيبه مشطا من خشب الانوس واخذ يمشط لحته الطويلة الصفراء ، ويرجل جعد ذوائبه الطويلة ثم نظر الى نظرة طويلة وقال :

اي جوان ! اي نور ريدتم ! نجالا سال دارم ازفلك بي رحم خيلي ستم ديدم بدم درشيراز كارباس فروش بود — اي ايها الفتى يا نور عيني عمري خمسون سنة : وقد شاهدت ظلما من هذا الفلك الظالم . ابي كان في شیراز «بزاز» وقد قرأت في صحابي القرآن وقرأت على «الآخذ» أي (الملا) النحو والصرف والمنطق وقرأت الفقه ، وحفظت كثيرا من كلستان سعدي الشيرازي ودويوان حافظ الشيرازي .

بلي قربان ! خيلي حفظ داشتم اكنون يك كمي ميدانم از مبتدا وخبر ونواصب وقضية صفري وكبرى بير سيد الحمد لله شما از اهل عرفان هستيد . اي كنت احفظ كثيرا والان ايضا اعرف قليلا . سئلني عن المبتدا والخبر والنواصب وقضايا المنطق في الصفري والكبرى . الحمد لله انت من اهل المرقان وكان والدي يعنني ويعزني كثيرا ، لاني كنت ولده البكر وكان يهتم بي ويعتني بتريتي اكثر من اخي الصغير . ولما بلغت الخامسة عشرة اخلفني والدي

الى الدكن لابعثه . وكنت لي عم توبه هو وزوجته وترك ابنته الصغيرة ،
فأخذها والدي الى بيتنا .

وهنا زفر الدرويش زفرة شفت عن الم عميق ، واستمرس في حديثه وكانت
ابنة عمي جميلة الخلق والخلق : مناب بود . ستاره آسمان بود ! . كانت قمرا
وكانت نجم السماء ! وكنت احبها حبا جما . وكانت هي تحبني ايضا حبا عظيما
ولما بلغت العشرين زوجني اياها والدي واقام الأفراح والولائم .

وهنا تغيرت لهجة الدرويش حالا واخذ صوته يتقطع ويرتفع ارتجافا
متواليا ويرتعد جسمه ويهتز اهتزاز شجرة الصفصاف . وقفت شعرات لحيتي
الطويلة : فرمى السيكرة من يده وقال : وبعد مرور شهر واحد مرضت زوجتي
مرضا لم يدم إلا يومين حتى ارداها . ثم استخرط في البكاء وهو يدمدم دميما
الهائج الحزين المغلوب على نفسه .

اي خدا وندكار ! چه كويم ؟ اياها الرب ماذا اقول ؟ ثم اخذ يزيد ويرعد
ويرغو رغاء البعير وتدفقت دموعه حتى بللت خداه ونحره ، واخضلت لحيتي
وقد طال بكأؤله وانينه ساعة من الزمن ، الى ان فطعت عبراته وملت نفسه
الآتين ولما انتهى دوره جاء دور السماء فاهلرت وابل النموع فقممت وانا حيران
في امر هذا الدرويش الباكي الحزين وقد علمت يقينا انه فجع بموت حبيبته .
اي مرشد خواهش دارم ! مشب در اين اوتاق بخو ايد تاريكي وباران
بيرون آمدن خيلي سخت است . اياها المرشد ارجوك ان تنام ليلتك في هذه
الغرفة [اذ اليوم لا يرى إلا] ظلام ومطر [ولهذا كنت] الخروج عليك
صعبا جدا .

فانطرح الدرويش على الأرض وخرجت من الغرفة فذهبت الى مخدعي ونمت
نوما متقطعا ولم يغمض جفناي إلا قليل القجر :

١٨ تشرين الثاني

انتبهت على صوت الدرويش وكانت يتلو دعاء في العربية بنغمة مشوية
بلكنة اعجمية فنخلت عليه في الغرفة فقام في وجهي متأدبا وقد ظهر الحجل

على محياء .

سلام عليكم ، « سبهكم » الله بالخير انا جانب بيخشيد ويشب خيلي بي ادبي كردم مارا بيخشيد خيلي دلتك بودا ام .
سيلي ، اعترني قد اسأت الادب ليلة امس اعترني فقد كنت حزينا مثلاً .
فهبشت له وابستمت بوجهه وقلت له : اني آسف لاني انا الذي ذكرتك
بتلك الذكريات المؤلمة ، وجسدت لك حزنك ، وانت معنور به بكائك ،
لفقدائك زوجتك التي كانت عزيزة عليك . ثم فطرنا معا وخرجنا من البيت .
فهبشت الى مدرستي وفارقتها في السوق وقد وعدني بالمجيء الى بيتي . ولما
خطوت بضع خطوات انتفع ينشد في السوق بهزج اوقع في القلب من نغمة
الزمرار :

« جان علي جان علي جان ، اي امير المؤمنين اسد الله جانم » .

ليلة ١٩ تشرين الثاني

جاءني بي بروا في الساعة الثانية ونصف عربية من الليل واعتذر الي
مرة اخرى فقلت : انما انا يجب علي ان اعتذر اليك لاني انا الذي اثرت آلامك
واحزانك . كلنا ايها المرشد العزيز نموت ، ولا يبقى إلا وجه الله الكريم .
وقد مات الانبياء والاولياء والاحياء والائمة والعلماء قبلنا فالموت نصيب الانسان
والنية مورد كل حي .

فابتسم وقال : بلي قربان خدا كفت . « كل نفس زائفة الموت » اي « كل
نفس ذائقة الموت »

اني كنت ليلة امس كالجنون ، فقد تذكرت والدي وامي وزوجتي وبلدي
شيراز ولهذا السبب ازعجتك كثيرا . وكانت المصيبة التي نزلت بي عظيمة جدا .
وهي التي اخرجتني من اهلي ودفعني الى الدخول في طريقة الدراويش ، فتغربت
عن وطني اربعين عاما ، قضيتها في التسول والتجول في ايران والهند والصين
وسمى الاسم الاخير - حين ما حين - وبلغ وبخارى وهرات والنوغاس (كذا)
والاسلامبول (كذا) والشام والبيروت (كذا) والمكة (كذا) ومدينة (كذا)
وبقداد (كذا) وقد عانيت الاما واوجاعا وعذابات كالحبس والجلد والجوع

والبرد والحر . وقد صاحبت خلال هذه السنوات اناسا كانوا اخبث من الشياطين
والابالسة . وعاشرت السفلة من الدراويش السفهاء . فأهانوني وسرقوا اشيائي
وحسدوني لاني احفظ منهم شعرا واعذب منهم صوتا وكان المؤمنون يصدقون
علي . وكثيرا ما كنت ارجع عند المغرب وكشكولي مملوء دراهم .
خيلى نياز داشتم — كان محصولي كثيرا .

أي لعنت خدا بان روي كم بدتر از روي إبليس بود لعنت بآن تاغلا ،
آن نامرد ، بي مذهب بي دين بي حيا !
اللعنة الله على ذلك الوجه الذي كان اشبع من وجه إبليس ! الالعة الله
على ذلك الزنيم الثعل الذي لامذهب له ولا دين ولا حياء !
ماتت زوجتي فحزنت عليها . تم مرضت واصابني هزال ونحول !
ييمار أفتادام بديرم خيلي اطبا آورددوا دادند خوب نشدم تب لازم داشتم .
وقعت مريضا وقد جاء ابني بالاطباء . وصفوا لي علاجا فلم اكسب صحتي
وكانت معي حتى ملازمة .

وقد اشار بعض اصداقا ابني عليه ان يعرضني على درويش كان ظاهرا
يملك على انه كان زاهدا تقيا دينيا . فجاء به والذي فكنت لي ادعية لتعرق تحت
ثيابي . وكان موسم الربيع وقد طاب الوقت . ورق النسيم . وبرزت براعم الاشجار
واخضرت الاعضان . وتفتحت اكام الورد والازهار . وتفتت البلايل . فكانت
شيراز جنة تجري من تحتها الانهار فرجع الي قلبي من نشاطي وكان ذلك الدرويش
الملعون يأخذني في كل صبح ومساء الى البساتين والجنات والى الارياض المهيبة
بشيراز فكنتا نجلس الى الجداول الصغيرة وتنفي ظلال الاشجار الخضراء . وكان
ذلك الدرويش ذكي القلب . لبقا فتيق اللسان . اوسى الطبع . رقيق الصوت .
بارعا في ايراد النكات حافظا للشعر : إلا انه كان خيبت الروح . خداعا
مكورا . طماعا . لا ذمة له ولا ضمير ولا وقار . وكان ينشدني شعرا في مدح
امير المؤمنين وآل الرسول . وقد صحبتته شهرين متتابعين حتى تعلقت به ولم
يكن في وسعي ان افارقه يوما واحدا .

وكان ابني لا يبخل عليه بثومان (من نقود ايران) في كل ثلاثة ايام ذلك

فضلا من الثياب والطعام .

وكان ذلك الدرويش يقص علي احاديث اسفاره وسياحاته وكان يجب الي السفر ومضني عليه ويرغبني في دخول ملك الدراويش حتى اقنعني . فاتفقنا علي السفر علي ان تكون وجهتنا مدينة الامام المصوم علي بن موسى الرضا اي خراسان .

ففاتحت ذات يوم والدي بالامر ويشت له رغبتي في زيارة الامام المذكور فأبى ورفض طلبي رفضا باتا : وكان يخشى علي من السفر ومن نوائب الدهر : فأشار علي الدرويش بان اظاهر بالمرض فلزمت فراشي بضعة ايام فتسير والدي في امري وشاور صاحبي الدرويش فأشار عليه ان يوافق علي سفري قائلا : ان ابنك علي خطر .

اذا شيطون بود، حرامزاده بود - كان شيطانناو كان زنيما فرفض والدي طلبي وزجرني فدخلت ذات يوم غرفة ابي وصرفت منها مائة تومان فسافرت مع الدرويش تحت جناح الطسلام ووصلنا خراسان ونزلنا في احد الخانات . وكنت اصرف عليه من الدنانير التي كانت معي وكان يأخذني بعد زيارة الامام صكل يوم الي محل يأوي اليه الدراويش فعرفني بهم ولا سيما (البير) فأخذوا دراهمي مني اذ قل لي (البير) انه لا يجوز للدرويش ان يحتفظ بالدرهم . وجمع ذات يوم (البير) كل الدراويش وطلب لهم « شلة قلندران (١) » وبعد ان اكل الجميع امرني ان اتمرى فامتثلت الامر وسكبوا علي رأسي اربعة عشر طاسا من الماء البارد (آب قنوت) ومزا الي الاربعة عشر مصوما . وقد زعم (البير) انني تطهرت من النجس والرجس الدنيوي ثم علمني (البير) تلاوة القصائد في مدح آل البيت بنعمة الدراويش واعطاني قلنسوة « كلاها » وقدموا وكشكولا وبعد ان تمرنت وحفظت الادعية وكيفية الاستجداء اخذني (البير) مرة الي السوق ليعلن صوتي والقائي وجرأني فتجولت في اسواق خراسان وازقتها منشدا شعرا في مدح الامام علي بن موسى الرضا . فاجتمع علي الناس وملاوا كشكولي دراهم حتى ان احد التجار نفحنني تومانا واحدا لان جودة صوتي

(١) ارز مطبوخ مع بعض القطاني كاللش والنس وغيرهما .

وماء حسني الرقراق كانا يؤثران في نفوس القوم .
 رجعت مساء الى المأوى فأخذ (البيرو) جميع ماحصلته من الدراهم في ذلك
 النهار وأطعمني ما أطعمه الدراويش فبقيت على تلك الحالة مدة شهرين ، تعلمت في
 خلالها الادعية والقصائد والأسرار وكان ذلك البيرو رجلا صالحا طيب القلب ، غفيف
 النفس صمم يوما على السفر وشد الرحال الى طهران واناب في مكانه الدراويش
 الذي صحبتني من شيراز الى خراسان وكان رجلا ماكرًا خيثا يستعمل الخافون .
 رجعت مرة الى الخان الذي يأوي اليه الدراويش . اغادر آن روز خيلي نياز
 داشتم . وكان محصولي كثيرا فأخذ ما كان نعي من الدراهم . ولما جن الظلام
 جاء ذلك الماكر الملمون الى غرفتي وجلس الى جانبي وأخذ يحادثني على عاداته
 فشكوت اليه فراق ابي وامي واخي . فقال : « وقد برقت عيناي من المعال ان
 ترجع الى شيراز » او تترك الدروشة . وان حدثك نفسك بترك الطريقة
 تقبل لا محالة . وكان قد مضى الهزيع الثاني من الليل . وكان الخان الذي يلجأ
 اليه الدراويش بعيدا عن البلدة نحو فرسخ واحد . وهو وقف احد الاخيار على
 الفقراء وكان خاليا ليس فيه احد سواي والدرويش ودرويش آخر كان مريضا
 يعاني سكرات الموت . وكانت ذلك الدراويش اللعين نائما بجسبي وعند منتصف
 الليل انتهت منمورا اذ قد وجدته يلب الى .

ثم ضحك الدراويش (بي روا) ضحكة الساخر المتهمك وقال : بلسوخته
 خيلي بي حيا بود . كلت ابن المعروق قليل الحياء ... ولهذا شئت من البقاء
 معه واخفت عروضي وخرجت بها من ذلك المأوى بعد ان ضربته ضربا وجيما .

وفضيت توا الى ضريح الامام علي بن موسى الرضا (ع) ونمت عند عتبة
 الصحن الشريف مع الفقراء والمساكين ولما انبلج الصباح لجأت الى داخل الضريح
 وصليت وصممت على السفر الى بلدي شيراز فذهبت في الحال الى السوق وبعث
 ادوات الدروشة مثل القدوم وابتعت ثيابا معتادة ورجعت الى الصحن . ولما وصلت
 الى عتبة المزار المقدس شعرت بضربة عصا غليظة على ظهري فنظرت واذا الدراويش
 الذي اشبهته امس لكما وضربا مع جندين وجمع من ذوي المعائم السوداء
 والبيضاء . فصاح الدراويش « بكريد اين كافر بابي را » اي « خلوا هذا الكافر

البابي فممكنني الجنديان وشدا وثاقي ثم انبالعلي الناس بضربوني بعصيبهم وايدهم واحذيتهم وحصيني الاطفال عند مروزي في السوق وبعضهم كان يصبق في وجهي وكنت اصرخ واستقيت وأقسم الايمان واغلظ في القسم متبرئا من البابية وليس من مجيب او مفيت وكان احدهم يصرخ : اقتلوا هذا الكافر الوقح والآخر يقول احصبوا هذا القراب . ارجوا بالحجارة حتى يموت وكانت الجموع تنفق تنفق السيل لتسال الاجر من الله في ضربي واهاتي . وفي اثناء هذا الهياج رأيت احدهم يشق الصفوف حتى دنا مني وخاطب الجنديين والناس قائلا كفوا عن ضرب هذا الفتى وارحموا هذا المسلم الا تسمعون انه يشراً من البابية فلعن الذي وشى به كان كاذبا ثم قال لهما : انكما ان لم تمنعا الناس عن ضربي وظهريت براءته يصحبكما عقاب من الحكومة ! فضلا عن عقاب الله وسخطه فلما سمع الجنديان كلامه فرقا الجموع ومنعا الناس عن الدنو مني إلا ان ذلك الترويش الملعون كان يصرخ بالويل والثبور ويركض تارة امامي وطورا ورائي يلطم صدره ورأسه ويقول واد ينادوا واحمداً! واشربعتاً!

ساقني الجنديان الى بيت اكبر عالم في طوس والناس يقتفون اثرني ولما دخلت الدار شاهدت في قنائبنا نيفا وخمسين رجلا من المعمين وقد توسطهم رجل ذو عمامة بيضاء يلوح الوقار على سيمائه فعلمت انه المجتهد فاسرعت نحوه واكبت على يده اقبلها وقلت باعلى صوتي « لا آله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله » . جناب اغاي آية الله حجة الاسلام والمسلمين من مسلم غريم بابي يستم شيعه ام الحمد لله .

اي: يا آية الله وحجة الاسلام والمسلمين انا مسلم وغريب ولست بايضا انا شيعي والحمد لله ثم اتخيت على رجله اقبلها وتلوت الشهادة مرات وكنت على وشك ان اللفظ انفاسي الاخيرة من شدة ألم الضرب الذي لحقني فامر المجتهد ان احبس في بيته فاخذني الختم الى سرداب مظلم كادت الرطوبة تقوض اركانها وتهدم جيعطائه وعند الظهر جاءني احد الخدم ورفسنى برجله وسبني ووضع امامي كوزا من الماء ورغيفا من الخبز اليابس وصحنا فيه (آش) (١) ولما كان

المساء جاني الختم وقادوني الى غرفة طويلة مؤتة بالسجاد النفيس في صدرها
المجتهد محفوفا باعوانه المعممين فقبلت يده بأدب فامرني بالجلوس فجلست واجهشت
بالبكاه ثم لمحت شخصا مقيدا مقلولا جالسا في آخر الغرفة وقد بانت عليه آثار
التعذيب والجلد وكان نحيفا مهزولا يشن اينسا خفيا ويردد انفاسا سريعة فقال له
المجتهد ألم تزل مصرا على ضلالتك بوغيك وكفرك والحداك فاجابه برباطة جأش
اني مصر على يقيني واعتقادي الصحيح وطل ديتي وايمانتي وانتم المصرون على
ضلالتكم وغيبيكم . ولما اتم كلامه ماج الجالسون وهاجوا وتطايروا الشرر من صيونهم
وصرخ المجتهد بخلعه وقال لهم (بزئيد سخت بزئيد) اي اضربوا اضربوا
شديدا فجرد ذلك البائس على وجهه والسياط تنوشه كوقع الصبصبة في التسيج . اما هو
فكأن يكسر من النداء يا صاحب الزمان (بلي آغا دولت خيلي ضعيف بود حكم دد
دست مجتهدين وعمامه ها بودا) اي الدولة كانت ضعيفة والحكم كانت بيد
المجتهدين من ذوي الممائم !

وبعد برهة حول المجتهد وجهه نحوي وقال : بكو أي جوان شما هم بابي
هستي - اي قل ايها الفتى أنت ايضا من البايية ؟ فقلت له : وقد بكيت ، معاذ
الله يا مولاي اني مسلم موحد وشيعي مؤمن واني لا اعرف البايية ولا اعلم
بمعتقدهم ولم اعاشر احدا منهم . ثم قصص عليه قصتي من اولها الى آخرها
وكيف اغواني البرويش وجاء بي الى خراسان ، واراد هناك عرضي الى غير
ذلك وقلت له : ان ابي اليوم في شيراز وانه ينتظر مجيئي فامرني المجتهد بان
اسب الباب والبايين فامتثلت امره فاعتقد بصدق ادعائي ورق الحالي وبينما كان
على وشك ان يطلق سراحي قام احد المعممين وهمس في اذن المجتهد بضع
كلمات ما عثم ان تغير لونه وبنت على سيماه آثار الغضب فامر الخادم ان
يرجموني الى السرداب . فبت ليلتي وقد تمشت الحمى في مفاصلي وعظامي
وكنت اثن طول الليل انين المعترض .

وكانت الحكومة الايرانية قد اطلقت للمجتهدين التعذيب والتكيل بمن يشبه
به انه من الطائفة البايية او يشك في انه ممن ينتمي اليهما فكان المجال فسيحا
للمتعادين المتباغضين اذ يبطش احدهم بالآخر وكان المجتهدون لا يترددون طرفه

عين في اصدار فتوى تقضي بالموت على من الصقت به هذه التهمة لذلك تقضت الوشايات فأرقيت السماء وازهقت الأرواح وكثرت الضحايا واصبحت البلاد في هرج ومرج وقد بات الناس خائفين على حياتهم مرتاعين من فتاوي المجتهدين الذين كانت اقلامهم امضى من السيف اذ ذاك .

قلت للدرويش (بي بروا) هل تعرف شيئا عن البابية ؟ قال : لا غير اني كنت ذات يوم اتسمع وعظ احد الواعظين في صحن الامام علي بن موسى الرضا (ع) . وكان يقول للسامعين ان البابية فجرة كفرة طغام وانهم جامدون مارقون عن الدين وانهم يعتقدون بمنهب الحلول الى غير ذلك . قلت له : اتعرف منهب الحلول ؟ فاجابني بالسلب .

شمر (بي بروا) بالتعب وتصيب جبينه عرقا ، فانقطع عن الكلام . وقال لي سأحدثك ليلة غد بالبقية ان شاء الله وتركتم في تلك الغرفة ، فنام فيها ليلة وقد استيقظت في الصباح فلم اجده . وقد اعلمتني الخادمة انه خرج قبيل الفجر من غير ان يخطر .

٢٠ تمرين الثاني

جاءني بي بروا في الساعة الثانية ونصف عريية من الليل فتعشينا معا ثم اشعل سيكارة واتكأ على الوسادة ونظر الى ويسرا تعبت بلحيته الطويلة وقال : بقيت في بيت المجتهد مسجوناً نحو شهر واحد ثم جاء نفر من جنود الدولة وساقوني انا مع ثلاثة آخرين الى الحاكم فبقينا في سجن الدولة مدة اسبوعين لم يسألونا شيئا ولم يطلبونا الى الاستجواب والاستطاق ثم نفينا مخفورين الى مدينة (شروان) .

دوراه خيلي زحمت كشيديم مارا شلاق زدند .

لقد عانينا المشقات في الطريق فقد ضربونا بالسياط . جئنا الى شروان وجلسنا فيها مدة ستة اشهر ثم نفينا الى مدينة (رشت) وجلسنا فيها مدة تقارب الستين . ثم اخذنا الى طهران وبقينا في حبس الحكومة ستة واحداً واطلق سراحي يوما على غفلة فتجولت في طهران وانا لا املك قطميرا فراجعت (شروان) توسعت فيه الخبير والصالح وقصصت عليه حديثي من اوله الى آخره ففرق

لحالي واستغفني في خانوتها وكنت ينفعني في كل يوم قرانا واحدا عدا الطعام والمسام وبقيت عند الرجل مدة تقارب ستة أشهر ارسلت خلالها بعدة مكاتيب الى والدي في شيراز إلا اني لم اتلق منها جوابا فشمرت يوما كنت القيامة قامت في طهران وان الارض تعيد ميذا والناس يموج بعضهم اثر بعض فلما تحققت الخبر علمت ان احد البايه قتل ناصر الدين شاه في مزار الشاه عبدالعظيم وقد اثبت الجند في طهران يقبضون على كل من يشك فيه او يشبه به انه من البايه فاحسست بالشر وعلمت انهم قابضون علي لا محالة فاضطربت كثيرا إذ رأي لي شيخ المنون فأيقنت بالموت . فبكيت طول يومي .

وفي المساء اعطاني ذلك (الشواء) الطيب القلب عشرين قرانا وقال لي : ابع نفسك فخرجت من المدينة خائفا اترقب لالوي على شي . والمدينة في هول عظيم .

وضعت على رأسي عمامة خضراء لاوهم الناس بانني من السادة العلويين ولا دفع عن نفسي الاذى وطفقت انتقل من قرية الى قرية ' ومن بلد الى آخر ' هائما على وجهي وكنت اتعيش من « فتح القال » . وبقيت على هذه الحالة مدة ثلاث سنوات حتى وصلت الى مدينة (اصفهان) فشهدت اثناء دخولي البلدة جماعة من اليهود قد رجعوا الى المدينة وقد دفنوا ميتاتهم ورأيت جماعات من الاطفال وبعض الرجال يركضون وراءهم ' يضربونهم بالحجارة فيقتل فيهم اصفهان مدة سنة واحدة وكنت اشتغل كعامل في قهوة . وهناك تعلمت التفتيح بالناي وبعد هذه السنة حصل لدي مبلغ غير يسير من الدراهم فشددت الرحال الى شيراز - وكنت اتلطف شوقا الى رؤية والدي واني - فوصلتها ... وهنا ارتعد اللرويش (بي بروا) واستمع لونه وارتجفت لحيتي . ثم قال : وقد مسالت العبرات من عينيه :

جاء عرض كنتم اغا . ما ذا اعرض لك يا سيدي . علمت ان والدي ذهب الى طوس ليجث عني فعات فيها اسفا على قراقي وان اخي الصغير مات وان امي هلكت كمدا وان المجتهد في شيراز وضع يدا على اموال ابني وبنيته . فراجعت ذلك العالم وطلبت اليه ان يسلمني اموال والدي وبنيته فابرز لي ورقة



کتابخانه عمومی

مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی

وقال ان والدك جميل وصيا على ثلث ماله ، واما الباقي من تركته فقد صرفتها على الفقراء حيث لم يظهر وارث لتركته . فراجعت حاكم المدينة مع ثلثة من التجار فقال لي انه لا يتعرض لشؤون العلماء فرجعت يائسا ثم ذهبت الى ذلك المجتهد مرة اخرى وتذللت بين يديه وشكوت له حالي . وبشت له آلامي فلم يرق لي وطردني من بيته طرد الكلاب . وهكذا يامولاي اغواني ذلك الدرويش السفيف الخبيث ، وهكذا فجعني الدهر بامي وابي واخي وهكذا اغتصب العلماء مالي وملكي وجعلوني مشردا اهير على وجهي في ارض الله . ايت تارة طاوي احشائي جوعا ، ومرة انام في الازقة والشوارع . وقد شاء القضاء ان تكون حرفتي الاستجداء ومهنتي التسول . وقد تربيت في احضان العز والدلال وكنت من ذوي الرفاه والجلال . وانا اليوم في حاجة الى قطمير وقد اصبح مصبري بشس المصير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واذا اصابكم مصيبة قولوا انا لله وانا اليه راجعون . . .

ان هذه المصائب والفجائع والكوارث التي المت بي اشعلت في كبدي نار الامسى فصممت على ان اخرج من شيراز الى بلاد اخرى فذهبت الى بوشهر ومن هناك ركبت باخرة الى الهند فصادفت اناسا طيبين في الباخرة وبينهم رجلا كان روضيا (روضه خوان) فطلعتني قراءة ماتم الحسين (ع) وبعد ذلك وصلت الى مدينة بومبي .

اغا هند ام العجائب است ، جمي كاورا ميرستد ، قومي آتش را پرستد هندوها مردهاي خود شانرا باتش ميسوزا شد چيزهاي عجيب وغريب در هند ديستم . سيدي الهند ام العجائب فيها اناس يعبدون البقر وقوم يعبدون النار والهنداكتا (الهندو) يحرقون امواتهم في النار . شاهدت في الهند امورا عجيبة غريبة يعجز اللسان عن ذكرها .

وقد وجدت في الهند جماعات من الدراويش الفقراء وهم على جانب عظيم من الزهد والورع ؛ ولم اصادف نصبا ولا اذى . وقد جلت في اكثر مدينتها مثل دهلي وكيرات ومدراس وغيرها ؛ ثم سافرت الى حين وماحين — يريد بفلك

الصين ومن أعجب ما شاهدته في هذا البلاد هو ان الصينيات يحسن ارتجلهن في قوالب من حديد لكي تبقى صغيرة وعند الصينيين ان من الجمال الرائع ان تكون الارجل صغيرة ومن الصعب ان يفرق الانسان الرجل من المرأة هناك لان الرجل يرسل شعره المصفور على كتفيه كالمرأة وهم يستعملون الترياق (الافيون) ثم رجعت من هناك الى بلوچستان فافغانستان فالقوقاس وزرت مدينة قونية وفيها قبر الصوفي الكبير مولانا جلال الدين الرومي الشاعر وحضرت (ذكر المولوية) وهم يدورون على انفسهم على نغمات الناي والقيثارة ثم ذهبت الى اسلامبول وهي اجمل مدينة شاهدتها في اسفاري ثم اشتقت الى ان احج بيت الله الحرام وان ازور قبر الرسول الاعظم فشدت الرحا الى مكة فمررت بحلب والشام والقدس الشريف . وبعد اداء فرض الحج وزيارة الرسول قفلت واجما الى ايران . وفي ايام الحرب جئت الى الشام فيروت وقد اصبحت باذى فيها كما حدثتك قبل هذا وعنت الى ايران ومنها جئت الى « كربلاء » .

ثم تنهد اللرويش (بي بروا) طويلا وقال بلهجة المتألم الحزين : هذه حياتي وهكذا قدر علي ان اميش متسولا فقيرا مشردا في ارض الله الطويلة العريضة وانا اليوم اعدد ساعاتي وانتظر الموت ولست ادري باي صورة يداهمني الحمام اقبر في مقابر المسلمين ام اموت عطشا وجوعا في الصحاري ام اكون طمعة لانيران ام فريسة للوحوش . ثم اندفع يتغنى :

أي آنكم زهيم بوجود آوردي وز سوي عمايم بشهود آوردي

نه نفع زطاعتم نه خسران كننا در سوق جهانم بهصور آوردي

اي — يا آلهي الذي جاء بي من العدم الى الوجود ومن العالم المسمى الغامض الى عالم المشاهدة انت يا آلهي غير منتفع من اطاعتي لك وغير خاسر من ذنبي فلائي جئت بي الى سوق هذه الحياة ؟

قلت للدرويش (بي بروا) كيف كنت تحصل قوتك في اسفارك الطويلة قال تارة انشد الشعر في الاسواق والاستجدي من الناس والناس لا ييخلون علي بشيء من الصدقات . وطورا اصبر (فتاح فال) واخرج لي من جرابه كتابا

اكل الدهر عليه وشرب به (الفال) وبعضا اقرأ مأثم الحسين (ع) واخرى
اطيب في القرى الصغيرة . قلت له : انت تجهل الطبابة وربما اعطيت مريضا
دواء اهلكه ، أفلا تخشى الله به عملك هذا ؟ قال : ان الادوية التي اصفها
للمرضى معلومة وتفيد ولا تضر وهي : منا مكى وبفسه (بنفسه) وكل كلب
زبون اي ورد لسان الثور .

٢١ تشرين الثاني

اجتمع عندي في هذه الليلة بعض ابناء الاشراف وعرفتهم بالدرويش (بيروا)
وكنا نتطارد في الشعر وحفظ الشعر هو ما يتفاخر به ابناء النبلاء به كربلاء
والبلد الاحق في نظرهم من لا يستظهر طائفة من القصائد العربية وتلاوتها كهم
في مجالسهم التي يقيمونها .

وبينما كنا نتلو شعرا كان الدرويش يكتب شيئا في دفتره الصغير ثم نظر
الينا وقد ابتسم ثم قال : آقا يان من هم شعر درست كردم بشنويد اي سادتي
اني ايضا نظمت شعرا فاسمعوا ، وقرأ لنا بنغمته الرقيقة المشجية ابياتا اضحكت
الحاضرين وهي :

اذا الدرويش بي بروا احب الثان (١) والحلوا
حليف الهم والبلوى اريد المن والساوى

ثم اخرج التأي من جرابه وكان يعزف به عزفا مشجيا الى ان مضى هزيع
من الليل فانصرف الحاضرون ونام الدرويش ولما كان الصباح فطربنا معا وبعد
ذلك انحنى الدرويش على يدي يريد تقييها وقال بلهجة الممسن : اشكر يا ولدي
ونور عيني فقد شاهدت منك لطفنا وكرما عظيمين واني اليوم عاجز على السفر الى
ايران واني سادعو لك في صاواتي وتعباتي وارجو الله ان يطيل به عمرك
وان يبارك في رزقك وان يوفقك .

فشكرت الدرويش وطلبت اليه ان يبقى عندي فاعتذر ، فاعطيته شيئا من
الدراهم وزودته بمتاع فودعني وسافر واست ادري ما فعل الدهر به . فاسعدنا
الله ان كان حيا يرزق ورحم الله ان كان ميتا ملحودا !

احمد حامد الصراف